(١٠)

ليس كمثله شيء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صَلّى الله عليه وسَلّم. أما بعد: ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ((وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي نَفْسِهِ اَلْمُقَدَّسَةِ اَلْمَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ)).

نعم، هذه القطعة هي رَدٌّ على أهل التمثيل أو من يقال عنهم أهل التشبيه، فالله تعالى ليس كمثله شيء، هكذا نطق الكتاب: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } (الشورى: ١١) و(شَيْءٌ) نكرة في سياق النفي فتدل على العموم، فلا شيء كالله سبحانه وبحمده، ولا يمكن أن يقع اشتراك إلا في الأسماء والمعاني، لكن في الحقائق والكيفيات لا اشتراك، لكن الأسماء والمعاني العامة المطلقة المجردة تتفق، فالله سميع والعبد سميع، والله بصير والعبد بصير، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ **لِنُرِيَهُ** مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الإسراء: ١)، وقال: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (الإنسان:٢) فالله سميع وبصير والعبد سميع وبصير، والله ملك والمخلوق ملك، والله عزيز والمخلوق عزيز، وهذا كثير جدًا في **الاتفاق في الأسماء وفي المعنى العام الكلي المطلق المشترك الذي يكون "في الأذهان"**، فالسمع معناه إدراك الصوت والبصر إدراك المرئيات، والقدرة معناها في العقل هي التمكن من الفعل من غير عجز، والقوة التمكن من الفعل من غير ضعف، كل هذه معاني في الذهن، لكن إذا أضفت هذا اللفظ لله صار هو المثل الأعلى، وإذا أضفته للمخلوق صار يليق به. وبالتالي إثباتنا للأسماء والصفات لا يقتضي تمثيلاً كما توهموا بل نقول هذا الاشتراك الذي حصل يزول عنه "التمثيل" بالإضافة، فإذا أضيف لله اختص به وإذا أضيف للمخلوق اختص به، فلا يقع اشتراك، بل الإضافة تميز بين مخلوقين، أرأيت لو قلت: سمع الإنسان وسمع الحيوان، صار لكل سمعه، كذلك بصر الإنسان وبصر الصقر، صار لكل بصره، فالإضافة والتخصيص ترفعان الاشتراك.

وبالتالي فمحنة هؤلاء أنهم ظنوا أن الإثبات للمشتركات يقتضي تشبيهًا، وهذا وهْم، إذ هم لا بد لهم من إثبات ذلك، أليسوا يقولون قطعًا أن الله موجود؟ هل يلزم أن يكون وجوده كوجودي؟ لا.

ثم نقول لأضدادهم وهم الممثلة أنه ليس شيء مما وصف الله تعالى به نفسه يماثل صفات المخلوقين، لماذا؟ للقاعدة القائلة: **القول في الصفات كالقول في الذات**، القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أنك تثبت لله ذاتًا لا تشبه الذوات فلتثبت له صفاتًا لا تشبه الصفات، فالقول في الصفات فرعٌ على القول في الذات، لكن مع ذلك وُجِد من أهل الضلال أنهم يقعون في التشبيه. وليُعلَم أن أول من قال بالتشبيه في هذه الأمة هم قدماء الرافضة، رأسهم هشام بن الحكم وداود الجواربي وهم أوائل الرافضة الممثلة في أمة محمد صَلّى اللهُ عَليهِ وسَلّم، ولهم كلام شنيع تشمئز منه النفوس.

والتشبيه نوعان: إما تشبيه الخالق بالمخلوق وإما تشبيه المخلوق بالخالق. ما الذي وقع من المشبهة؟ أي النوعين؟ تشبيه الخالق بالمخلوق، هذا ما وقع منهم، فهؤلاء يقول قائلهم: له وجه كوجوهنا وأيد كأيدينا وسمع كسمعنا – تعالى الله عما يقولون – وقوله كما أسلفنا ممتنع عقلًا ومحرّم شرعًا. أما **النوع الثاني فهو ما وقع في أناس وهو تشبيه المخلوق بالخالق**:

١- في الأفعال كالمشركين في الربوبية الذين يزعمون أن شركاءهم يخلقون أو يرزقون أو يدبرون، فهؤلاء شبهوا المخلوق بالخالق في الأفعال.

٢- وإما في الحقوق كالمشركين في العبادة كأن يقال أنهم يستحقون أن يدعون من دون الله، وأن تقدم لهم القرابين للنذور، فهذه أصلًا حقوق خالصة لله.

٣- وإما في الصفات بأن يصفوا المخلوق بأوصاف لا تنبغي إلا للخالق كغلاة المدّاحين والعياذ بالله، فإن منهم المداحين الذين يُحثَى في وجوههم التراب، ويكثرون هؤلاء عند الزنادقة كابن هانئ الأندلسي الذي مدح بني عبيد الذين هم ليسوا خلفاء على الحقيقة، هم من حكموا مصر والمغرب وفلسطين حوالي قرنين، كانوا زنادقة رافضة، فيقول ابن هانئ هذا:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

هكذا يصفون المخلوق الضعيف الذي لا يملك من أمره شيئًا. ومن هؤلاء من يمدح النبي صَلّى اللُه عَليهِ وَسَلّم فيخلعون عليه أوصافًا لا تنبغي إلا لله، كأبيات من بردة البوصيري :

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

هو لا يخاطب الله بل يخاطب النبي صَلّىَ اللهُ عليهِ وَسَلّم الذي قال لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم بل قولوا عبد الله ورسوله، بل نقول عبد الله ورسوله.

ثم قال رحمه الله: ((**وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا فَإِنَّ اَللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ اَلَّذِي لاَ غَايَةَ فَوْقَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ اَلْحُدُوثُ، لِامْتِنَاعِ اَلْعَدَمِ عَلَيْهِ، وَاسْتِلْزَامُ اَلْحُدُوثِ، سَابِقَةِ اَلْعَدَمُ، وَلِافْتِقَارِ اَلْمُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ، وَلِوُجُوبِ وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**))

هذا من الشيخ رحمه الله فائدة جليلة وهي أن كل ما أوجب نقصًا أو حدوثًا فإن الله منزه عنه حقيقة بلا شك؛ لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص، {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الصافات: ١٨٠) (سبحان) يعني تنزيهًا له، فالله منزه عن النقص والعيب ومماثلة المخلوقين، كذلك كل ما أوجب حدوثًا، يعني بأن يوصف الله بأنه جدّ له شيءٌ بعد أن لم يكن، لا يحدث له شيءٌ بعد أن لم يكن، لماذا؟ لأن هذا الحادث إما كمالًا أو نقصًا، فلو قلنا ليس نقصا فهو كمال، فيقال كيف يكمل بشيء قد زاد عليه؟ فهذا يعني أنه كمال بعد أن كان ناقصًا.

قال رحمه الله: ((**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ اَلَّذِي لاَ غَايَةَ فَوْقَهُ**)) كامل ولا غاية فوقه {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [الروم: ٢٧]، ويمتنع عليه الحدوث، لأن كل شيء قابل للحدوث قابل للعدم، والله تعالى يستحيل عليه العدم والحدوث.

وقوله: ((وَاسْتِلْزَامُ اَلْحُدُوثِ، سَابِقَةُ اَلْعَدَمُ)): فإن ما صح أن يحدث صح أن يكون معدومًا، فافتقار المحدَث لمحدِث ضروري، حينما أجد هذا الكتاب على الطاولة فلا بد أن أحدًا قد وضعه، والله تعالى هو الأول ليس قبله شيء

وقوله **((وَلِوُجُوبِ وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى))**: لأن ما ثم إلا واجب أو ممكن الوجود، فالله تعالى واجب الوجود ولا يفتقر لموجد، ومن سواه فإنه ممكن الوجود بالافتقار إليه وحصوله بسببه، ومعنى هذا إذ ادعى أصحاب التعطيل الجزئي أو الكلي أن إثبات صفات الفعل يستلزم الحدوث قلنا: كلا لا يستلزم، قالوا كيف؟ ألم تقولوا استوى بعد أن لم يكن مستويًا؟ قلنا نعم قلنا استوى لكن هذا لا يعني أن هذا الحدوث حدوث نقص؛ لأن هذا الاستواء فعل من أفعاله سبحانه، وأفعاله سبحانه لا أول لها، {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} (البروج: ١٦) ، فعال لما يريد، فتارة يكون فعله استواءً وتارة مجيئًا وتارة إتيانًا أو غيره مما أخبر به عن نفسه. فليس هذا من باب الحدوث أو شيء طرأ لم يكن، بل هو قديم النوع حادث الآحاد، والتعبير بالحدوث لم يرد منعه في الشرع، قال: {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ} (الشعراء: ٥)، فعبر الله تعالى بالحدوث، فليس كل حدوث مذموم، الحدوث المذموم هو ما لا أصل له، أما ما أصله موجود بل تتجدد آحاده وأفراده فهذا دليل على الكمال وطلاقة المشيئة.

ثم قال رحمه الله: **((وَمَذْهَبُ اَلسَّلَفِ بَيْنَ اَلتَّعْطِيلِ وَبَيْنَ اَلتَّمْثِيلِ، فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اَللَّهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَائَهُ اَلْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ اَلْعُلَى، وَيُحَرِّفُونَ اَلْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اَللَّهِ وَآيَاتِهِ))**.

نعم برَّأ الشيخ رحمه الله السلف من كل هذا وبيّن أن مذهبهم وسط بين الطرفين وعدل بين عوجين، بين أهل التعطيل والتمثيل، أهل التعطيل الذين غالوا في التنزيه حتى وقعوا في التعطيل، وأهل التشبيه الذين غالوا في الإثبات حتى وقعوا في التشبيه. وسلموا من الإلحاد الذي هو الميل، وسمي لحد القبر لحدًا لأن الحافر يميل عن سمت القبر لجهة القبلة فيقال "ألحد" يعني مال، فالمقصود **بالإلحاد: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله،** فالتشبيه إلحاد والتعطيل إلحاد والتجهيل إلحاد، ووصفه سبحانه بالنقائص إلحاد، وتسميته بما لم يسمِ به نفسه إلحاد، وإطلاق أسمائه على مخلوقاته إلحاد، هذه خمسة أنواع للإلحاد، إذن التعطيل والتمثيل والتجهيل و ووصفه سبحانه بالنقائص و وتسميته بما لم يسمِ به نفسه، أيضا أطلاق اسمائه الحسنى على المعبودات. كذا كل هذا إلحاد. قال تعالى: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (الأعراف: ١٨٠).

قال الشيخ رحمه الله: **((وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَيْ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ.أَمَّا اَلْمُعَطِّلُونَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اَللَّهِ وَصِفَاتِهِ إِلَّا مَا هُوَ اَللَّائِقُ بِالْمَخْلُوقِ، ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ تِلْكَ اَلْمَفْهُومَاتِ فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ اَلتَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ، مَثَّلُوا أَوَّلاً، وَعَطَّلُوا آخِرًا، وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ، وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنَ اَلْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اَللَّائِقَةِ بِاَللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى))**.

ذكر الشيخ هنا قاعدة قال: **((وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَيْ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ اَلتَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ))**:

فكل مُعطِّل ممثل وكل ممثل مُعطِّل، كيف؟ وهما أصلًا نقيضان؟ لكن عند التدقيق ستجد المعطل فهم من النصوص التمثيل فهرب منها للتعطيل، والعكس تجد الممثل عطّل النص عن دلالته المرادة حقًا، كمن يفهم أن وجه الله كوجه المخلوق فقد عطّل النص عن معناه الحقيقي ثم مثّل.

- **أما كون المعطل قد جمع بين التعطيل والتمثيل** فوجهه أن المعطل أول ما تبادر لذهنه من النصوص التمثيل، فاعتقد بأن النص يدل في ظاهره على التمثيل ففر من التمثيل إلى التعطيل، إذن هو في الواقع مثّل أولاً باعتقاده أن النص دل على التمثيل وعطل ثانيًا حينما أنكر المعنى المراد لله تعالى، وأتى بمعنى بديل من تلقاء نفسه أو تركه دون إثبات معنى، يعني إما سلك مسلك التأويل أو التفويض، فالواقع أنه قد جمع بين التمثيل والتعطيل هذا واضح.
- **الممثل كيف جمع بين التمثيل والتعطيل؟** أما كونه ممثلاً فالأمر واضح لأنه أثبت ما ينبغي لله على الوجه الذي يعهده في المخلوقات، فهو بهذا الاعتبار ممثل وهو أمر واضح، لكن كيف كان معطلاً؟

وجه كونه معطلاً من عدة وجوه في الواقع منها:

١- أنه عطل الله تعالى عن كماله المستحق حيث لم يثبت ﷻ ما أثبت لنفسه، لأن هذه النصوص دالة على الكمال فإذا لم يثبتها فقد عطل الله عن كماله.

٢- ثانيًا أنه عطل نفس النص المعين عن مراد الله تعالى، يعني هذا النص المعين في إثبات صفة من الصفات قد عطله عن وجهه حيث لم يحمله على مراد الله ﷻ أو مراد نبيه ﷺ بل حمله على غير ذلك، فقد عطل النص المعين.

فتبين بذلك أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل.

((فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ اَلْقَائِلُ: لَوْ كَانَ اَللَّهُ فَوْقَ اَلْعَرْشِ لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنْ اَلْعَرْشِ، أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ اَلْكَلَامِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اَللَّهِ عَلَى اَلْعَرْشِ إِلَّا مَا يَثْبُتُ لِأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، وَهَذَا اَللَّازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا اَلْمَفْهُومِ، أَمَا اِسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلَالِ اَللَّهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَلَا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنْ اَللَّوَازِمِ اَلْبَاطِلَةِ اَلَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا.

وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ اَلْمُمَثِّلِ: إِذَا كَانَ لِلْعَالِمِ صَانِعٌ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا، أَوْ عَرَضًا، وَكِلَاهُمَا مُحَالٌ: إِذَا لاَ يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلَّا هَذَانِ، أَوْ قَوْلِهِ: إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى اَلْعَرْشِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ لِاسْتِوَاءِ اَلْإِنْسَانِ عَلَى اَلسَّرِيرِ أَوْ اَلْفُلْكِ، إِذْ لاَ يُعْلَمُ اَلِاسْتِوَاءُ إِلَّا هَكَذَا، فَإِنَّ كِلَاهُمَا مَثَّلَ وَكِلَاهُمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اَللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَامْتَازَ اَلْأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ مُسَمًّى لِلِاسْتِوَاءِ اَلْحَقِيقِيِّ، وَامْتَازَ اَلثَّانِي بِإِثْبَاتِ اِسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ اَلْمَخْلُوقِينَ.))

تبين بذلك أن كل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل قد جمع بين التعطيل والتمثيل. ولما قرر الشيخ رحمه الله ذلك انتقل لبيان علة القوم وهي ما يعتقدونه من اللوازم، يعني ما الذي يحملهم على القول بالتعطيل أو القول بالتمثيل إلا ما استصحبوه من لوازم باطلة، فهم أحيانًا يقولون في تقريراتهم "يلزم على إثبات كذا كذا وكذا" وهذه اللوازم التي يذكروها أهل البدع منها ما يكون لازمًا صحيحًا وهذا اللازم الصحيح لا يمكن بحال أن يدل على نقص، فإن اللازم الصحيح لا يدل إلا على معنى صحيح، فإما أن يذكروا لازمًا صحيحًا نلتزمه ونقول نعم هذا لازم وهذا ليس فيه نقص في حق الله تعالى، وإما أن يذكروا لازمًا باطلاً فنقول لا يمكن أن يلزم من النصوص لوازم باطلة، وهذا المثال بين أيدينا مثلاً لو قال المنكر لاستواء الله على عرشه استواءً حقيقيًا يليق بجلاله "إن من لازم ذلك أن يكون الله تعالى أكبر من العرش أو أصغر من العرش أو مساوٍ للعرش" لماذا أراد أن يلزمنا بهذا؟ قالوا لأنكم أثبتم علاقة بين المستوِي والمستوَى عليه، الله هو المستوي سبحانه وبحمده والعرش مستوى عليه، فمادام أن ثمة علاقة بين المستوي والمستوى عليه فهو لا يخلو من هذه الأمور الثلاثة إما أكبر أو أصغر أو مساو، ويرون هذا اللازم لازم يستدعي إنكار

الاستواء، فنقول بكل بساطة: نعم نحن نلتزم أن الله تعالى أكبر من العرش ولا مانع هو فوقه وأكبر منه، لكن نظرًا لأنهم سبق لذهنهم التمثيل فتصوروا أن استواء الله على عرشه كاستواء الجسم على الجسم، تطرقت لهم هذه الأوهام فأنكروا صفة الاستواء الحقيقي، **قال الشيخ وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم**، ما هو المفهوم؟ اعتقادهم أن ما يثبت لأي جسم أنه لا يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان، يعني يتبادر لذهنهم. عافانا الله وإياكم. معان المماسة والمعاني التي تنشأ عن جلوس أحدنا على الكرسي وأن هذا من معهودات الأذهان، فيقال "أي لازم هذا تبادر لأذهانكم؟ أنتم أُصِبتم بلوثة التمثيل ففررتم منها للتعطيل، ولو أنكم أثبتم استواء بالمعنى العام الكلي المطلق وهو بمعنى العلو على الشيء دون التزامات تلزم على النص لسلمتم ونجوتم".

أما أضدادهم وهم الممثلة فإنهم يلتزمون بذلك، تبادر لأذهانهم التمثيل لا يمكن أن يكون استواء كاستواء الإنسان على السرير أو الفلك؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا ولذلك وقعوا في التمثيل.

فلاحظوا يرعاكم الله كيف أن هذه اللوازم الفاسدة حملت القوم على: **إما الإنكار والتعطيل، وإما التمثيل والتكييف**، ولو أعطوا النصوص حقها لسلكوا طريقًا وسطًا بين طرفين وعدلاً بين عوجين، لسلموا من المبالغة في التنزيه المفضية للتعطيل والمبالغة في الإثبات المفضية للتمثيل، لأثبتوا ما أثبت الرب لنفسه أن الله تعالى استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته نفهم به علوه سبحانه على هذا الخلق العظيم الذي هو العرش، أما بقية اللوازم فهذه مما صنعته بنات أفكارهم لا أقل ولا أكثر، فمثلاً حين يسمعون قول النبي ﷺ (ضحك ربنا من قنوط عباده و قرب غيره) أهل السنة يقولون كما قال الله يضحك ربنا إذن الله يضحك ضحك يليق بجلاله وعظمته، الآخرون يقولون "الضحك أداة يلزم منه شفتان ولسان وأسنان ولهوات وغير ذلك" إذن إثبات الضحك يوقع في التمثيل، إذن يجب أن نُحرّف أو نؤول —على حد تعبيرهم- الضحك لمعنى مجازي، فنبحث في شواذ اللغة وغريب الألفاظ ما يقابل كلمة ضحك من المعاني المستغربة فنحملها عليها" أو يقوم الطرف الثاني ويقول "نحن لا نعرف ضحكًا إلا كما نعرفه في المخلوقات" فيثبتون لله ضحكًا كضحك المخلوق، وأهل السنة والجماعة تجاوزوا هذا كله وطرحوه وقال قد أخبر ﷺ في الحديث القدسي أن الله سبحانه يضحك فنقول يضحك و لا يلزم أن يكون ضحكًا كضحك المخلوقين، لكننا نفهم منه الإقبال على عبده واللوازم الصحيحة منها الإقبال على من ضحك له وتيسير أمره وتفريج همه وغير ذلك، وهذا يُفهم من المعنى الكلي العام للضحك، فمثلاً لو دخلت على مسئول فأقبلت عليه فابتسم وضحك ألست تتفاءل وترجوا خيرًا؟ بلى، هذا يفهم من الحال وأنه من مقتضياته ولوازمه، ولو أنه قطب وعبس لرجوت أو خفت شرًا، فلأجل ذلك قال الصحابي ﷺ لقيط بن عامر بن المنتفق لما سمع النبي ﷺ يذكر الضحك جثى على ركبتيه وقال "يا رسول الله أويضحك ربنا؟" قال "نعم" قال "لن نعدم خيرًا من رب يضحك"، فعلم أن من لوازم الضحك اللوازم الصحيحة نشوء الخير فأثبته ولم يقل "كيف يمكن يضحك أليس من لازم الضحك كذا وكذا؟" لم يخطر ببالهم، كانت قريحتهم صافية وعقولهم مستقيمة وفطرهم سوية، لم تلتفت لفات المناطقة والمتكلمين فعفوا من ذلك وسلموا.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.